لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ
ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣

[٢٢] ثم أثنىٰ جل وعلا علىٰ عبادة المؤمنين الصادقين بالبراءة من المنافقين والمشركين؛ فقال: اعلم يانبي الله أنه لا يمكن أن تجد قومًا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ حقًّا ويعملون بشرعه؛ يوالون ويحبون المشركين المعادين لله ورسوله ﷺ ويخالفون أمر الله، ولو كان هؤلاء المعادون هم من الأقارب؛ كالآباء الذين يجب طاعتهم، أو الأبناء الذين هم فلذات الأكباد، أو الإخوان المناصرون لهم، أو العشيرة التي يُعتمد عليها بعد الإخوان؛ فأولئك الذين لا يوالون أعداء الله هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان، وقواهم بنصره وتأييده، ومن فضل الله عليهم أنه يدخلهم في الآخرة بساتين فسيحة، تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبد الآبدين، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، فاعلم بأن أولئك الذين لا يوالون أعداء الله هم أنصار الله وجنده الذين يمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه، وهم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.

سورة الحشر

سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون آية. وسميت بسورة (الحشر) لأن بني النضير عاهدوا الرسول ﷺ عندما قدم المدينة أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، ولما طلب منهم الرسول ﷺ دفع دية القتيلين حسب المعاهدة تآمروا علىٰ إلقاء حجر عليه لقتله ﷺ؛ فأعلمه الله بمكرهم؛ ثم أُمِرَ ﷺ بحصارهم حتىٰ نزلوا علىٰ حكمه ﷺ فأجلاهم.

[١] افتتحت هذه السورة بالثناء علىٰ الله وبتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته وجلاله؛ فأخبر سبحانه بأن جميع من في السماوات والأرض ينزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته؛ وأنه العزيز الذي قهر كل شيء وغلبه، صاحب الحكمة البالغة، وهاتان الصفتان من مبررات التسبيح له جل وعلا.

وتسبيح المخلوقات يكون بلسان الحال ولسان المقال، وجمهور المحققين علىٰ هذا؛ وليس بمستغرب أن ينطق الحجر فقد قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم والترمذي: «**إني أعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ**»[١]، وقد قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤].

[٢] يخبر جل وعلا أنه هو الذي أخرج الذين كفروا وهم يهود بني النضير من بيوتهم التي كانوا يسكنون بها حول المدينة، وكان هذا أول إخراج لهم من جزيرة العرب؛ حيث أخرجوا إلىٰ بلاد الشام، ولم يتوقع المسلمون أن بني النضير يمكن إخراجهم من ديارهم بهذه السهولة؛ لأن حصونهم منيعة، وأنهم أهل عدد وعدة، حتىٰ هم ظنوا أن حصونهم مانعتهم من بأس الله، ولكن قوة الله وقدرته لا يمنعها مانع ولا يقف أمامها شيء؛ فلذلك جاءهم بأس الله وقدرته من حيث لم يخطر لهم ببال، وبثّ في قلوبهم الهلع والخوف حين جاء رسول الله ﷺ وأصحابه إليهم، فلم يستطيعوا إلىٰ المقاومة سبيلًا، ولما أيقنوا بالجلاء جعلوا يخربون ما استطاعوا من بيوتهم من الداخل، والمسلمون يخربونها من الخارج؛ حسدًا وحقدًا، فاتعظوا ياأهل البصائر والعقول بما جرىٰ لهم، واعلموا أن الغدر والخيانة مضرته علىٰ مرتكبه.

وبهذه الخاتمة للآية بقوله: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾، وبما شاكلها استدل الفقهاء بحجية القياس.

[٣] ثم أخبر جل وعلا أنه لولا هذا الجلاء الذي أصابهم وقدره عليهم؛ لنالهم عذاب الله في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة، ولهم في الآخرة عذاب أليم مهين ليس أكبر منه عذاب، ولا يعلم قدره إلا الله جل في علاه.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

[٤] ثم بين جل وعلا أن ذلك الذي أصابهم من المحاصرة والجلاء، وما ينتظرهم في الآخرة من عذاب النار؛ بسبب شدة عداوتهم لله ورسوله ﷺ، ونقضهم للعهود والمواثيق، ومن يعادي الله ويحارب رسوله ﷺ؛ فإن الله شديد العقاب.

[٥] ولما لام بنو النضير رسول الله ﷺ والمسلمين في قطع النخيل والأشجار، وأرادوا بذلك العيب على الإسلام ليغيظوا رسول الله ﷺ؛ أخبر جل وعلا أن كل ما جرى من المؤمنين من قطع النخيل، وإحراق بعض الأشجار المثمرة؛ فإنما كان بأمر الله وإرادته؛ حيث سلط سبحانه المسلمين على قطع نخلهم وتحريقه؛ لإغاظة بني النضير، وليكون ذلك نكالًا وإذلالًا وخزيًا للخائنين للعهد.

[٦] واعلموا أيها المؤمنون أن ما جاءكم من أموال يهود بني النضير؛ فقد يسر الله لكم الحصول عليها بدون جهد ومشقة ولا ركوب خيل ولا إبل، وإنما هو بتسليط الله رسوله ﷺ عليهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب - وهو من جند الله - فهُزِموا به، والله يسلط رسله على من يشاء، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٧] واعلموا أيها المؤمنون أن هذه الأموال التي جاءت رسول الله ﷺ من أهل القرى؛ من غير ركوب خيل ولا إبل ولا مشقة؛ فإنها لا تقسم تقسيم الغنائم؛ بل هي لله ولرسوله ﷺ تصرف في وجوه البر والخير؛ ولذوي قرابة رسول الله ﷺ، ولليتامى الفقراء، وللمساكين ذوي الحاجة والبؤس، ولابن السبيل الذي انقطع عنه ماله، وقد فعلنا ذلك لئلا يكون المال متداولًا بين الأغنياء ينتفعون به وحدهم، ويحرم منه الفقراء مع شدة حاجتهم للمال، ثم بين سبحانه أن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، واتقوا الله أيها الناس بفعل أوامره واجتناب نواهيه، إن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيه.

والحاصل أن التعليل في عدم قسمة المال بين جميع المحاربين أمران: أولًا: أنه فيء حصل بغير حرب، والثاني: حتى لا يكون المال متداولًا بين الأغنياء الذين ليسوا في حاجة إليه.

[٨] ثم أمر جل وعلا أن يُعطى من المال الذي أفاء الله به على رسوله ﷺ أيضًا الفقراء المهاجرين الذين اضطرهم كفار مكة إلى الخروج من ديارهم ولم يسمح لهم بأخذ شيء من أموالهم معهم، ثم زكّاهم جل في علاه فذكر أنهم فعلوا ذلك ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، وابتغاء مرضاة الله، ونصرةً لرسوله ﷺ، ثم بين سبحانه أنهم صادقون في إيمانهم؛ لأنهم صَدَّقَتْ أعمالُ جوارحهم أقوالَ ألسنتهم.

[٩] ثم ذكر جل وعلا الأنصار ومدحهم وزكّاهم، وذكر أنهم هم الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين، وآمنوا قبل هجرة المهاجرين إليهم، وقد كانوا يحبون إخوانهم المهاجرين، وينصرونهم، ويؤوونهم، ويقاسمونهم أموالهم، ولا يجدون في صدورهم حسدًا أو غيظًا أو حرجًا مما أُعطي إخوانهم المهاجرون مما فضلهم الله وخصهم به؛ بل كانوا يقدمون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من متاع الدنيا ومحابِّ النفوس - حتى لو كانوا في حاجةٍ وفقر -، ومن رزقه الله الإيثار، وعافاه من بخل نفسه وحِرْصِها؛ كانَ من المفلحين الفائزين فوزًا عظيمًا.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا
ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ
لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا
وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ لَأَنتُمۡ
أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ
أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا
وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦

[١٠] ثم ذكر جل وعلا الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار – وهم الذين أسلموا بعد فتح مكة والتابعون لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين –، يدعون الله قائلين: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل يارب في قلوبنا غلًّا ولا حسدًا ولا عداوةً ولا بغضاء للذين آمنوا، ربنا إنك ذو رأفةٍ بعبادك، ورحمةٍ بهم، فاستجب لنا.

[١١] ثم ذكر جل وعلا قصة عبدالله بن أُبَيٍّ وأتباعِه من المنافقين الذين كان بينهم وبين اليهود مودة وحِلْف، فقال سبحانه: ألا تعجب يانبي الله من شأن هؤلاء المنافقين الذين أظهروا خلاف ما أضمروا؟ يقولون ليهود بني قريظة والنضير الذين كفروا برسالة محمد ﷺ: لئن أُخرجتم من المدينة لنخرجن معكم منها، ولا نطيع في عدم نصرتكم أحدًا يريد أن يخوفنا أو يخذلنا عن نصرتكم، وإن قاتلوكم لنعيننَّكم عليهم، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما قالوا وفيما ادعوا.

[١٢] ثم إن الله جل وعلا كذَّبهم، وأخبر أن اليهود لو أُخرجوا فلن يخرجوا معهم، وقد كان كذلك؛ فلم يخرج المنافقون مع من أُخرج من يهود بني النضير، ولو قوتل اليهود، فلن يصدق المنافقون في وعدهم إياهم بالوقوف معهم، وقد كان كذلك، فلم يقفوا مع بني قريظة لما قوتلوا فيما بعد، وعلىٰ فرض أنهم نصروهم ووقفوا في القتال معهم؛ فلن يثبتوا، وسَيُوَلُّون الأدبار منهزمين هاربين.

[١٣] واعلموا يامعاشر المسلمين أنكم أشد خوفًا وخشية في صدور هؤلاء المنافقين واليهود من الله الذي خلقهم وأوجدهم، وخوفهم من رسول الله وأصحابه أشد من خوفهم من الله؛ لأنهم قوم لا يفقهون قدر عظمته جل في علاه.

[١٤] ثم ذكر جل وعلا صفة من صفات اليهود والمنافقين وهي صفة الجبن؛ فأخبر سبحانه بأنهم لا يواجهون المسلمين وهم مجتمعون في مكان واحد، إلا إذا كانوا في قرىً محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم، وبين سبحانه وتعالىٰ أن من أسباب هذا الجبن والخوف أن بعضهم عدوّ لبعض؛ ولذلك يحسبهم الناظر إليهم أنهم مجتمعون ومتفقون، ولكن في الحقيقة قلوبهم متفرقة، وذلك الاختلاف والتشتت بسبب أنهم قوم لا يعقلون شيئًا مما فيه صلاحهم، فإن تشتيت القلوب يوهن قواهم، ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه.

[١٥] واعلم يانبي الله أن مثل هؤلاء اليهود من بني النضير فيما حل بهم من عقوبة الله؛ كمثل الذين من قبلهم من كفار قريش فيما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة، وكمثل يهود بني قينقاع الذين أخرجوا من المدينة بسبب غدرهم؛ حيث أخرجوا من المدينة قبل بني النضير بزمن قليل، فكل هؤلاء ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله ﷺ في الدنيا، ولهم مع ذلك عذاب أليم في الآخرة.

[١٦] ثم اعلم يانبي الله أيضًا أن هؤلاء المنافقين الذين زينوا الشر والفساد ليهود بني النضير ووعدوهم بأن ينصروهم؛ ثم تبرأوا منهم؛ كمثل الشيطان الذي أغرىٰ كفار مكة وغيرهم بالكفر فلما رأىٰ العذاب تبرأ منهم وتخلىٰ عنهم، وقال لهم: إني أخاف عذاب الله وانتقامه إن قاتلت معكم.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سورة الممتحنة

[١٧] ثم أخبر جل وعلا أن جزاء وعاقبة المنافقين واليهود كعاقبة الشيطان ومن تبعه علىٰ الكفر؛ أنهما جميعًا في نار جهنم يعذبان فيها، ماكثين فيها أبدًا، لا يخرجون منها، وذلك جزاء ومصير الظالمين المجاوزين حدودهم بالشرك والمعاصي.

[١٨] ثم حث جل وعلا المؤمنين علىٰ التقوىٰ والنظر في العواقب وما يقدمون من أعمال، فقال: ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ وعملوا بشرعه، اتقوا عقاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، ولينظر كل واحد أي شيء قدم من الأعمال ليوم القيامة، ثم أمر سبحانه المؤمنين بالتقوىٰ مرة ثانية، وكرر سبحانه التقوىٰ لأهميتها، واعلموا أن الله جل في علاه خبير بما تعملون لا تخفىٰ عليه خافية في السماء والأرض، وسوف يجازيكم بأعمالكم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

[١٩] واحذروا أيها المؤمنون أن تكونوا مثل اليهود والمنافقين ممن تركوا أمر الله وطاعته ونسوا حقوقه؛ فأنساهم الله حقوق أنفسهم؛ ليكون الجزاء من جنس العمل، واعلموا أن أولئك الذين تركوا أمر الله هم الخارجون عن طاعته وشريعته.

[٢٠] ثم أخبر جل وعلا أنه لا يستوي أصحاب النار وهم الفسقة الذين نسوا الله، وأصحاب الجنة الذين اتقوا الله فامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فاعلموا أن أصحاب الجنة هم الفائزون الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.

[٢١] ثم ذكر جل وعلا أن هذا القرآن العظيم الحاوي للقوارع والنواهي لو أنزله علىٰ جبل؛ لتفتت وتصدع من خشية الله تعالىٰ، واعلموا أيها الناس أن هذه الأمثال نضربها لكم لعلكم تتعظون فتحصلون علىٰ رضا الله والنجاة من النار. وهذا إعلام بعظمة القرآن وقوة تأثيره وتأنيبه للعصاة الكفرة وغيرهم ممن أصم أذنه عن القرآن.

[٢٢] ثم ختم جل وعلا السورة بعدد من أسماء الله الحسنىٰ التي هو أهل لها وأهل للمغفرة، فأخبر سبحانه بأنه هو الله الذي تألهه القلوب، وهو الذي لا معبود بحق غيره، لا إله إلا هو ولا رب سواه، عالم السر والعلن، يعلم ما غاب عن العباد مما لم يبصروه، وما شاهدوه وعلموه، ذو الرحمة الواسعة العامة التي وسعت كل شيء ووصلت إلىٰ كل حي، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. يرجح كثير من العلماء بأن (الله) هو الاسم الأعظم، وقد ذكر في القرآن (٢٦٠٢ مرة)، وكلها تعود إليه جل في علاه.

[٢٣] ثم أكد جل وعلا مرة أخرىٰ أنه هو الله الذي لا معبود بحق غيره، لا إله إلا هو ولا رب سواه، وذلك اعتناءً واهتمامًا بأمر التوحيد، ثم أخبر سبحانه بأنه الملك الذي لا يزول ملكه، المتصرف بالأمر والنهي في جميع خلقه، المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وإرادته، القدوس الطاهر من كل عيب والمنزه عن كل نقص، السلام الذي سلم من كل عيب وآفة ونقص، المؤمن الذي وهب لعباده نعمة الأمن والأمان والاطمئنان، المصدق لرسله بإظهار المعجزات، المهيمن الذي هيمن بعظمته وجلاله علىٰ جميع خلقه بما فيهم الملوك والزعماء والرؤساء، العزيز الذي لا يغلب ولا يناله ذل، الجبار الذي يذل له من دونه سائر الخلق، المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة، فتنزه سبحانه وتقدس في جلاله وعظمته عما يقوله ويفعله المشركون.

[٢٤] ثم أخبر جل وعلا أنه هو الإله الخالق لجميع الأشياء، البارئ المنشئ لها بطريق الاختراع، الموجد لها من العدم، المصور لمخلوقاته وفق ما يريد، له الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا، ينزهه تعالىٰ عن صفات العجز والنقص جميع ما في الكون بلسان الحال أو المقال، لأنه هو العزيز الذي لا يغالبه مغالب، الحكيم في كل الأمور التي يقضي بها. وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد والدارمي والترمذي وحسنه البيهقي في شعب الإيمان: «**من قال حين يصبح عشر مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتىٰ يمسي، وإن مات ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يمسي كذلك**»[(١)]. تمت سورة الحشر فجر يوم العيد من رمضان عام ١٤٣٤هـ؛ فالحمد لله علىٰ الإعانة، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٣٠٦)، والترمذي (٢٩٢٢)، والدارمي (٣٤٦٨) وقال الترمذي: غريب.